المغامرة المصرية فى المكسيك

دكتور محمد نور محمد عارف

مدرس بكلية الآداب بسوهاج قسم التاريخ

وقد تأخذك الدهشة . . من اشتراك مصر في حرب المكسيك بأمريكا إذ لا ناقة لها فيها ولا جمل .

ولكن كذلك شاءت ميول سعيد نحو نابليون الثالث إمبراطور فرنسا في ذلك العهد وصداقته له أن يلبى دعوته حيثما طلب إليه أن يمده بقوة حربية مصرية تعاون الجيش الفرنسى بها .

إذن ما هى الدوافع الأساسية التى جعلت سعيد يشترك في هذه الحرب ؟ .

وللإجابة عن هذا السؤال لا بد أن نعرف :-

أولا : ما هى المكسيك وأن نلقى الضوء عليها ؟

ثانياً : ما علاقة فرنسا بها وما ارتباط مصر بهذه الحرب .

ثالثاً : ما دخل انجلترا فى هذه الحرب وما تأثيرها على العلاقة المصرية الإنجليزية .

أولا : ما هى المكسيك ؟ .

المكسيك جمهورية تتخللها الفتن والثورات (١). كما هو شأنها وكانت منشقة فى ذلك الحين إلى شعبتين أحداهما اكليريكية محافظة (٢)

---

(١) عبد الرحمن الرافعى . عصر اسماعيل . ج ١ القاهرة . مطبعة النهضة سنة ١٩٣٢

(٢) فيشر هربرت . تاريخ اوربا فى العصر الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٥) تعريب الاستاذين أحمد نجيب هاشم ووديع الطبع . الطبعه الثانيه سنة ١٩٥٣ ص ٢٦٨ .

يتزعمها ميرامون Meramon رئيس الجمهورية السابق والأخرى معادية لرجال الدين وتنزع إلى التطور والإرتقاى وتنطوى تحت زعامه بيتوجوازر .

الذى انتخب رئيساً للجمهورية سنة ١٨٦٠ .

وجوازر هذا منحدر من أصل هندي وقد امتاز بنزاهته ونبل خلقه ووضوح آرائه ونظرته وقوة إرادته ولكنه فى نفس الوقت كان مبغضاً بغضاً شديداً فى العالم الكاثوليكى بأسره لقوانينه وإجراءاته الحازمة الشاملة في الحد من سلطة الكنيسة وثروتها .

وقد احتكمت كلتا الشعبتين إلى السيف للفيصل بينهما واقترضتا أموالا طائلة من أوربا ووعدت كلتيهما وعودا سخيه في تسديدها حينما تضنع الحرب الناشبة بينهما أوزارها في صالحها . ولهذا الغرض أقرض ممول سويسرى فى باريس اسمه جيكيه مالا ليرامون ووعد جيكيه الدوق دي مورلى .

وهو أخ غير شقيق لنابليون الثالث بان يدفع له ٣٠ في المائة من الأرباح غير ان الذى كسب الحرب كان جوازر لاميرامون ، ولاح لرجال الدين الفرنسيين وأشياعهم وبالأخص الإمبراطورة يوجينى أن قهر الهنود الملحدين[١] وإقامة إمبراطورية كاثوليكية فى المكسيك تحت رعاية فرنسا أمر سهل .

---

(١) فيشر . المرجع السابق ص ٢٦٩ .

ولكن عندما تولى رياسة الجمهورية بنتوجوازر سنة ١٨٦١ أصدر قرارا بوقف دفع فوائد القروض لمدة سنتين فثار أصحاب القروض وطالبوا حكوماتهم بالتدخل حربيا ضد المكسيك وحدثت إتصالات بين حكومات فرنسا وأسبانيا وبريطانيا وتم الإتفاق بينهم على القيام بحمله مشتركة على المكسيك للضغط عليها حتى تسحب قرارها وتدفع التزاماتها المالية .

وهنا نتساءل هل هذا هو السبب الوحيد أم هناك أسباب أخرى .

وللاجابة على هذا التساؤل نقول : ـ

أن هناك عوامل أخرى تضافرت بجانب السبب الأول ومنها :

مصالح دينية : فرجال الدين المكسيك الذى قام جوازر بمصادره املاكهم حاولوا أن يحصلوا على تأييد الحكومة الفرنسيةا لتى كانت فى ذلك الوقت تفرض نفسها على أنها حامية الكاثوليك فى سوريا وفى الصين[١] وفى بقاع كثيرة من العالم .

ونجحت الإتصالات التى قام بها المونت Elmonte مندوب ميرامون فى باريس فى لفت نظر الإمبراطورة لهذه المسألة .

ومن العوامل أيضاً :

الأغراض الشخصية لنابليون ربما يكون نابليون قد رأى فى هذه المسألة فرصة لإعطاء الأوساط الكاثوليكية الفرنسية نوعا من التعويض

---

(١) الدكتور عبد العزيز الشناوى . قناة السويس والتيارات السياسيه التى احاطت بها القاهرة . مطبعه مصر سنة ١٩٧١ ص ٥٢٣ .

عن خيبة الأمل التى كانت قد اصابتها فى المسألة الإيطالية ومع ذلك فليس لدينا دليل على أن هذه الحجة كان لها فى تفكيره دوراً سياسى .

غرض آخر فقد أمل نابليون أنه فى الوقت الذى كانت يتأخر فيه البروتستانت الأنجلو سكسونيون بشأن الرقة وحقوق الولايات يستطيع هو أن ينشىء فى القارة الأمريكية دولة لاتينية كاثوليكية تكون بمثابة معقل أمامى لفرنسا وسد حائل ضد الحركات الناجية للبرطقة الغربية .

مصالح اقتصادية : هل هى مصالح دائنى المكسيك من الفرنسيين ؟ .

كان من المنطق أن تساعد الحكومة الفرنسية رعاياها فى الحصول على ما يستحقونه ولكن ما يثير الدهشة هو أننا نجد فى قائمة مطالب أحد الدائنين السويسريين سندات Bonsjecher بون جيكر التى كتبها مورنى Morny فى القائمة الفرنسية نتيجة لحصوله من جيكر على عموله ٣٠ فى المائة نظير هذا الترتيب ولذلك فإن المسألة المكسيكية كانت مرتبطة فى الوسط المحيط بالإمبراطور بترتيبات مالية لها مظهر غير سليم .

إذن نستنتج أن هذا الوسط هو الذى دفع نابليون الثالث إلى التدخل وبذلك يكون هذا الإستنتاج (٢) منطقياً ولكن بالرغم من ذلك نفتقرا إلى الأدلة الدافعة التى تؤيد هذا الرأى .

---

(١) بيير رنوفان ـ تاريخ العلاقات الدوليه من سنة ١٨١٥ ـ ١٩١٤ تعريب د . جلال يحى الطبعه الثانيه . القاهرة . دار المعارف بمصر ص ٤٠٠ .

(٢) العلاقات الدوليه . مرجع سابق . ص ٤٠١ .

وبالرغم من ذلك هناك شواهد كثيرة تدفعنا إلى الاعتقاد فى أن هذه الحجة كانت أساسية بالنسبة لنابليون الثالث والسبب فى ذلك هو أن الإمبراطور قد اهتم من وقت بعيد بدراسة مسائل أمريكا الوسطى والقناة الموصلة بين المحيطين وفى نفس الوقت استغلال الموارد المتحجبة مثل الذهب(١) وغيره من موارد الثروة المعدنية والزراعية مما يعود على فرنسا بثراء عريض كما أنها ستصبح سوق التصدير للمنتجات الصناعية الفرنسية ولذلك لفتت الفضة المكسيكية إنتباه الإمبراطور ولكن كيف يمكن تنظيم الاستغلال الإقتصادى للمكسيك دون البدء بتوفير الاستقرار السياسى فى هذه البلاد وتضافر المال والسياسة والدين معا على إبراز الفوائد التى تنجم عن المغامرة المكسيكية(٢) .

و كان الغرض الحقيقى لهذه المغامرة إنشاء منطقة نفوذ ولكى يصل إلى هذا الهدف كان من الضرورى بطبيعة الحال أن يستفيد من الحرب الأهلية الأمريكية التى تقطعت فيها أوصال الولايات المتحدة الأمريكية .

وهذه السياسة أدارها نابليون الثالث شخصياً وكان يعتمد على أعوان له مقربين لتنفيذ أغراضه(٣) .

---

(١) د . عبد العزيز السناوى . قناة السويس . مرجع سابق ص ٥٢٣ .

(٢) فيشر المرجع السابق .

(٣) Dr. Zenab Esmat Rashed - the peace of pairs 1763 Liver pool 1951, p. 204.

ومن ناحية أخرى استهوت هذه المغامرة أحلام نابليون الثالث إذ وجد فيها وسيلة لتحقيق مجد حربى وسياسى يرفع من شأن الإمبراطورية الثانية ويقوى نفوذها وأن يكسب إلى جانبه المحافظين والكاثوليك فى فرنسا وكذلك البابا فى روما بإنشاء إمبراطورية كاثوليكية تحت زعامة فرنسا فى المكسيك وكانت الإمبراطوره بوجينى متحمسة كل التحمس لهذه الإمبراطورية الكاثوليكية وكان الشعور العام فى فرنسا يوحى بأن أبناء المكسيك يحملون لواء الكنيسة الكاثوليكية والأنظمة الملكية .

وهكذا اجتمعت الأسباب الدينية والسياسة والاقتصادية لتجعل الحملة المكسيكية حلماً يداعب خيال الإمبراطور نابليون الثالث وكان مما شجعه على المضى قدما فى مشروعه أن الولايات الأمريكية كانت فى ذلك الوقت مسرحاً للحرب الأهلية التى نشبت بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية من أجل إلغاء الرق(١).

وكانت الفكرة العامة لدى المراقبين العسكريين وقتئذ أن هذه الحرب الأهلية سيطول أمرها وفى ضوء هذا الرأى كان تقدير الإمبراطور للموقف أنه يستطيع تنفيذ خطته الحربية دون أن تتاح الفرصة أمام حكومات الولايات المتحدة للتحرك سياسيًّا أو عسكريًّا لمنع فرنسا من التدخل فى الشئون الأمريكية طبقاً لمبدأ موثرو وبهذا العمل تستطيع فرنسا أن تعيد هيبتها وتعوض ممتلكاتها التى فقدتها فى بقاع أمريكا الشمالية وآسيا عقب هزيمتها فى حرب السنوات السبع(٢) . وفى سنة ١٨٦١ وجد

---

(١) د . عبد العزيز السناوى . قناة السويس . مرجع سابق ص ٥٢٣ .

(٢) Dr. Zenab Esmat Rashed the peace of pairs 1963 Liver pool 1951 p. 204.

الإمبراطور من الحكمة أن يشرك فى مشروعه كلا من أسبانيا وإنجلترا اللذين كان لكل منهما رعايا فى المكسيك وديون على الدولة المكسيكية وكان فى سياسته العامة لا يرغب فى أن يثير سوء تفاهم مع بريطانيا العظمى وكان يرغب فى إقامة وفاق مع أسبانيا ولاشك فى أنه كان يفكر كذلك فى أن اشتراك ثلاثة دول تستطيع مواجهة احتجاج الولايات المتحدة فى حالة ما إذا انتهت الحرب الأهلية الأمريكية قبل الوقت المتوقع لها . ولكن اختلاف وجهات النظر بين الحكومات الثلاثة جعل الوفاق بينهم مستحيل فلم تكن الحكومة الأسبانية تقدر على أن تنسى أنها كانت صاحبة المكسيك ولا شك فى أنها كانت تفضل أن يتم إعادة النظام الملكى فى صالح أمير من الأسرة الملكية الأسبانية .

فى حين كانت الحكومة الإنجليزية تأمل في سقوط جوازر الذى كان قد تفاهم فى سنة ١٨٥٩ مع الولايات المتحدة وفى نفس الوقت ترغب في ضمان حصول رعاياها على دفع ديونهم .

ولكنها لم تكن ترغب فى الدفاع عن مصالح رجال الدين المكسيكيين ولافى تأييد النظام الملكى ولذلك فان نابليون الثالث نجح فى فرض برنامجه بالكامل فى حين قرر الإتفاق الفرنسى الإنجليزى الأسبانى فى ٣١ أكتوبر سنة ١٨٦١ وإرسال حملة عسكرية لإكراه المكسيك على احترام ممتلكات الأجانب(١) . وذلك ردا على البرلمان المكسيكى الذى أصدر قرارًا فى ١٧ يوليو سنة ١٨٦١ بوقف تسديد جميع القروض الأجنبية لمدة عامين أقلعت السفن الحربية إلى الجانب الآخر من الأطلنطى

---

(١) فيشر ـ المرجع السابق . ص ٢٦٩

ونزلت الكتائب الإنجليزية الفرنسية الأسبانية فى ديسمبر سنة ١٨٦١ ويناير سنة ١٨٦٢ على الساحل المكسيكى القاسى الموبوء بالملاريا ولكنه حدث خلاف بين الحكومات الثلاث نتيجة لاختلاف وجهات النظر بشأن وضع سندات جيكر فى قائمة المطالب الفرنسية وبشأن إعادة النظام الملكى (٢) فسحبت الحكومتان الإنجليزية والأسبانية جنودهما فى أبريل سنة ١٨٦٢ وقد (٣) أحرزت الحملة الفرنسية بعض النجاح فى أول الأمر وتسرع نابليون الثالث وأطلق على الدولة الجديدة اسم إمبراطورية المكسيك وعرض عرشها على الأرشيدون ماكسيمليان أخو إمبراطور النمسا فرنسيين جوزيف وكان هذا الأمير عالما امتاز بارائه الحرة وكان هدف نابليون من تقديم هذا العرض هو تدعيم صداقته للنمسا تمهيدا لعقد تحالف بينها وبين فرنسا وفى نفس الوقت أمر الإمبراطور ماكسيمليان بجيش فرنسى جرار ليقوده الجنرال فورى Forey.

ولقد حاول الإمبراطور الجديد أن يحكم ولكنه كان لا يسيطر إلا على الجزء الأوسط من البلاد (٤) الذى بقى شماله وجنوبه فى أيدى أعوان جوازر وكان يعلم بضعف الحكم الملكى الذى كان يأمل فى الحصول على تأييده فلم يجرؤ أن يقرر خوفاً من أن يزيد من خطورة المعارضة وإعادة أملاك رجال الدين المصادرة مما أدى إلى تغيير موقفهم منه ولكن الشعب قاوم هذا المشروع واعتبره عدوانا على حريته ورفضه أن يسلم

---

(٢) العلاقات الدوليه ـ مرجع سابق ص ٤٠٢ .
(٣) عبد العزيز الشادى ـ قناة السويس . مرجع سابق ص ٥٢٦ .
(٤) الامير عمر طوسون ـ الاورطه السودانيه فى المكسيك ص ٣
(٥) العلاقات الدوليه ـ مرجع سابق ص ٤٠٢ .

قيادته لأمير أجنبى مهما كانت مناقبه وصفاته وكان على الخزانة الفرنسية أن (١) تنفق بسخاء على تدعيم هذا العرش المتداعى وأن ترسل له النجدات العسكرية تباعاً مما أرهقت الميزانية فى فرنسا ارهاقاً شديداً لأن الشعب المكسيكى فضل قائده الجمهورى الخشن الذى يجرى فى عروقه الدم الهندى الهمجى (٢) .

على أمير كامل المناقب يستطيع أن يذهو بانحداره من أعرق بيوت أوروبا المالكة وأشهرها ولذلك كان مركزه ضعيفاً أمام هذه المقاومة الشعبية وكانت نقطة ارتكازه الوحيدة يمتلكها هى الحملة الفرنسية وقوامها . ٣٠,٠٠٠ جندى والتى كان نابليون الثالث قد وعده بخطاب فى ٣٠ يناير سنة ١٨٦٤ بأن يتركها هناك طوال الوقت اللازم لضمان وجوده هناك ولكن الإمبراطور قد أخطأ فى تقديره لمعرفة طبائع المكسيكيين وبسالتهم وفى عدد الجنود الذين يحتاج اليهم لإخضاع تلك البلاد وفى الصعاب التى أقامها التاج فى وجه الغزاة .

فان الفرنسيين حتى عندما كانوا فى أوج قوتهم لم يستطيعوا أن يبسطوا سيطرتهم إلا على شطر صغير جدا من هذا القطر الشاسع ومما زاد الأمر سوء أن انتشرت الأوبئة بين الجنود الفرنسيين وفتكت بهم الحمى الصفراء والدوسنتاريا ومن هنا جاء فكرة نابليون الثالث بالاستعانة بالذنوج لأنهم يمتازون بحصانة طبيعية ضد هذين المرضين ولهذا استخدمت

---

(١) د . عبد العزيز السناوى ـ قناة السويس ـ مرجع سابق ص ٥٦٦ .

(٢) فيشر ـ مرجع سابق ص ٢٧٠ .

فرنسا فيها عساكر جندتهم لهذه الحرب خاصة من مستعمراتها(١) . ولذلك انتهز نابليون الثالث فرصة المحادثات السياسية التى دارت بينه وبين سعيد باشا فى باريس سنة ١٨٦٢ فادرج ضمن المطالب الفرنسية موضوع إرسال قوة من الجيش المصرى إلى المكسيك وتحارب إلى جانب الجيش الفرنسى وقد وافق سعيد على هذا الطلب . ولكن ما هى الأسباب التى جعلت سعيد يوافق على مثل هذا الطلب ؟ .

من أهم الأسباب التى جعلت سعيد يرتمى فى أحضان فرنسا استهدف بسبب امتياز قناة السويس غضب انجلترا التى قاومت المشروع فى القسطنطينية بواسطة سفيرها وفى نفس الوقت استهدف سعيد لغضب تركيا التى عارضت المشروع على أساس أن الدولة الكبرى لم تتفق كلمتها على قبوله .

إذن أصبح سعيد بن شقى الرحى عداء إنجلترا وعداء تركيا وبذلك أرادت تركيا أن تقضى على هذا الوالى المتمرد ولا سيما بعد أن زاد عدد جيشه وتردد ذكر عبارة الاستقلال(٢) وانفصال مصر عن الدولة العثمانية فلذلك خشى الباب العالى أن ينتهز سعيد هذه الفرصة بالدور الذى قام به والده محمد على من قبل « ١ » ثم أن الباب العالى قد أزعجه ازدياد النفوذ الفرنسى فى الباشوية المصرية وعلى ذلك وجد سعيد نفسه مهدداً بالعزل تماماً مثل ما حدث لعباس باشا عندما اتفق مع السير روبرت استيفن(٣) على مد السكة الحديد من غير استئذان الباب العالى كما زاد

---

(١) محمد صبيح ـ كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين . القاهرة مطابع دار العالم العربى سنة ١٩٦٦ ص ٢١١ .

(٢) دار الوثائق القوميه مخطه رقم ٢٥٨ اراده رقم ٥ ـ ٨ دقيقه رقم ١٣٠ مؤرخه فى ١٤ شعبان ١٢٥٥ (٢٣ أكتوبر سنة ١٨٣٩) .

(٣) د . محمد بهى لهيطه ـ تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثه ـ القاهره مطبعة لجنة التأليف والترجمه سنة ١٩٤٤ .

اعتماد عباس على انجلترا وقتذاك ـ زاد اعتماد سعيد على فرنسا (١) واستنادًا على المعونة الفرنسية المنتظرة إذ طفق سعيد ليعمل لتحقيق مشروعاته السياسية .

ولذلك نرى فى رسالة القنصل كوهون ما يؤيد هذه الأحداث ففى ٤ يونية سنة ١٨٦٠ أرسل القنصل الإنجليزى رسالة مطولة إلى حكومته يبين فيها مشروعات سعيد وجهوده السياسية فقال أنه أى سعيد يتوقع أن يستمر اضطراب الأمور فى أوربا مدة العامين المقبلين وعلى الأخص مدة السبعة الأشهر التالية مما يرى فيه سعيد أنسب الظروف لأحياء أمله مرة أخرى فى الظفر بالاستقلال فى أثناء مشغوليته الدول باصطدام أو الحرب المنتظرة وقوعها وأما إذا لم يتم الحرب لحرص الدول الكبرى على المحافظة على السلام فقد عقد سعيد أمالا كبرى على معاونة فرنسا فى موضع تغيير نظام الوراثة لجعلها صلبية وذلك فى نظير ما يقدمه لفرنسا .

وكان سعيد فى نفس الوقت يشعر بأنه مكروه من الباب العالى (٤) ويصف علاقاته مع الاستانة بأنها المصدر الذى يأتيه منه القلق والإنزعاج وعدم الراحة ولذلك كان دائما يقول بأن الاستانة لا تتردد فى إيلامه وحرجه أو النيل منه كلما وجدت الفرصة سانحة فلذلك قرر السفر

---

(١) د . مصطفى الحفناوى . قناة السويس ومشكلاتها المعاصره حـ ١ تاريخ القناة وأصول مشكلاتها المعاصره القاهرة مكتبة الانجلو المصريه . الطبعه الثانيه ١٩٥٦ ص ١٢٣

إلى أوربا فى صيف سنة ١٨٦٢ للاستشفاء وللنزهة والسياحة ولكن السياسة الإنجليزية كانت تتبع خطواته لتفضح نواياه الحقيقية فلذلك كتب كوهون إلى حكومته من الأسكندرية فى ١٠ مايو سنة ١٨٦٢ فقال :

إن الشائعات الكثيرة فى هذا المكان تعزوا الغرض الأساسى من زيارة سعيد لأوربا وإلى محاولته استمالة الدول الأوربية الكبرى للموافقة على إعطاء توجيها لتركيا من أجل تغيير نظام الوارثة وجعل الباشوية المصرية وراثية فى صلبة وأضاف كوهون بان الممثل الفرنسى شجع فى ذهن الباشا احتمال مقابلة هذا الطلب بقدر من الترحيب فى باريس «٣» كما أن سعيد نفسه ذكر دون تدبر أو تمعن قال أنه متأكد من نيل الصوت الفرنسى إلى جانبه ولكنه يخشى أن تأتيه المعارضة من ناحية انجلترا . وبقدر ما كان سعيد غير موفق فى مسعاه فى لندن بقدر ما نجح فى مسعاه فى باريس وأن الاتفاق قد تم على المبادىء التى سوف تنصها هذه الفرمانات الجديدة على قاعدة توسيع الاستقلال الداخلى فيما يتعلق بمصر وتعديل نظام الوارثة تعديلا جوهريا يجعلها صليبية وكان المقابل الذى يجب أن يدفعه سعيد نتيجة هذه المطالب هو أن يوافق على إرسال أورطة سودانية لتشترك فى حرب المكسيك ١ » .

---

(١) د . مصطفى الحفناوى ـ قناة السويس ومشكلاتها المعاصره ج ١ . تاريخ القناة واصول مشكلاتها المعاصره . القاهره . الانجلو . ١٩٥٦

(٢) د . محمد فؤاد شكرى . مصر والسودان . مرجع سابق ص ٤٧

(٣) أرلوند دلسون . قناة السويس . ماضيها وحاضرها ومستقبلها . القاهرة . ١٩٥٤

(٤) غمرطون . الاورطه السودانيه . مرجع سابق ص ٤٠

(٥) د . محمد عبد العزيز الشناوى . قناة السويس . مرجع سابق ص ٥٢٦ .

لم تكن موافقة سعيد على الأورطة السودانية ارتجاليا ولم تكن محبه فرنسا ولكنها كانت مرتبطة بمطالب اجابتها فرنسا دون إنجلترا ولو أن إنجلترا رحبت به وحققت رغباته لإنحاز إلى جانبها دون فرنسا .

وعاد سعيد إلى مصر فى أول اكتوبر سنة ١٨٦٢ وفى عزمه الوفاء بما ارتبط به مع نابليون ولكن حدثت مفاجأة سياسية أخرى تغير هذه الارتباطات فقد جاء إلى مصر فى ٥ نوفمبر سنة ١٨٦٢ سير هنرى بلور السفير البريطانى فى الاستانة فى زيارة استطلاعيه وتعرض سعيد باشا لضغط سياسى عنيف من جانب هذا التغير الذى استطاع أن يجعله بصورة أوامر بالاتباع عن بذل أية مساعدة بشرية أو مالية لشركة القناة (١) .

وطالت مدة إقامة السفير فى مصر فلم يبحر من الإسكندرية إلا فى أواخر الأسبوع الأول من يناير سنة ١٨٦٣ عائدا إلى مقر منصبه ولم يكن فى استطاعة سعيد أن يرسل القوة العسكرية إلى المكسيك فى أثناء وجود السفير البريطانى ويقول تاير Thayer القنصل الأمريكى فى مصر أن كلمة واحدة من السفير كانت كفيلة بجعل سعيد باشا يحجم عن إرسال القوة المصرية .

ولكن الحكومة الفرنسية بادرت بارسال سفينة حربية هى لاسين إلى الإسكندرية (٢) لنقل أفراد القوة إلى المكسيك ووصلت هذه السفينة فى أول يناير سنة ١٨٦٢ والسفير موجود فى مصر وكانت السفينة تحمل

---

(١) بخصوص تفاصيل رحله سعيد إلى اوربا عام ١٨٥٢ (مايو - ١٧ اكتوبر) ومقابلته ايطاليا فيكتور عما نويل وقداسه البابا فى روما وامبراطور فرنسا واقامة

١١٠٠ جندى فرنسى أنزلتهم فى الميناء بعد أربعين ساعة من وصولها ليواصلو سفرهم بالسكة الحديد إلى القاهرة فالسويس ليبحروا فى طريقهم إلى المستعمرة الفرنسية كوشتشين فى الهند الصينية وكان من المقرر أن تعود السفينة من الأسكندرية يحمل أفراد القوة السودانية إلى المكسيك ولكن سعيد أمر أن تظل السفينة رأسية فى ميناء الإسكندرية دون أن يعلم أحد شيئاً عن سبب انتظارها حتى إذا ما ابحر السفير من الإسكندرية فى مساء يناير سنة ١٨٦٣ عائداً إلى الاستانة أصدر سعيد أوامره باتخاذ التدابير لإعداد وتجهيز القوة العسكرية على وجه السرعة وتحركت هذه القوة من القلعة السعيدية فى القناطر الخيرية بالقطار إلى الإسكندرية وأبحرت بها السفينة الحربية الفرنسية فى ٨ يناير سنة ١٨٦٣ بعد أن شحنت كميات وفيرة من الأرز والعدس ولكن سعيد باشا لم يلتزم بالعدد المتفق عليه فى محادثات باريس واكتفى بأن يكون قوام القوة ٤٥٣ جنديا من ضباط وصف ضباطا ويقول الأمير عمر طوسون أنه على الرغم من أن نابليون الثالث قد طلب إلى سعيد باشا بأن يمده بقوقه كاملة من الجنود السودانيين إلا أنه سعيد باشا لم يرسل سوى (أورطة تتكون من أربع بلوكات وهى من الاى المشاة التاسع عشر)

ويبدو أن السبب فى انقاص عدد أفراد القوة السودانية المصرية إلى هذا الحد إنما يرجع إلى الاثار التى خلفتها زيارة السفير البريطانى فى نفس سعيد فليس من المعقول ان يقدم سعيد الوعود إلى السفير بالإمتناع عن بذل أية مساعدة لشركة القناة وفى نفس الوقت يقوم

بإرسال قوة أورطة كاملة من الجيش المصرى إلى المكسيك لمساعدة فرنسا فلذلك لجأ سعيد إلى سياسة أنصاف الحلول وبعد أن أقلعت السفينية الحربية الفرنسية من الإسكندرية ومرت بجبل طارق احتجت انجلترا لدى الباب العالى على ذلك ثم مرت بعد ذلك بالميناء الحربى بطولون ثم واصلت رحلتها لدى الباب العالى وعلى ذلك إلى المكسيك فبلغت ميناء فيراكروز فى ٢٣ فبراير بعد سفر ٤٧ يوم ومات من أفراد القوة فى أثناء السفر سبعة جنود ولما كان من أفراد القوة لا يعرفون اللغة الفرنسية فقد استعانت القيادة الفرنسية ببعض الجنود الجزائريين الذين ارسلتهم حكومة باريس للاشتراك فى الحملة ولقد قام هؤلاء الجنود بدور المترجمين بين القيادات الفرنسية وبين أفراد الفرقة السودانية المصرية وقدر لهذه الفرقة أن تخوض المعارك فى المكسيك قرابة أربع سنوات وستة أشهر وسبعة وعشرين يوما .

وقامت بدور بطولى رائع أشاد به قواد الجيش الفرنسى وعلى رأسهم الإمبراطور نفسه حيث أنه استطحب حضرة سعاد تلوشاهين باشا سردار العساكر المصرية ومر بهذه الأورطة حول سريه (توليرى) فى الساعة السادسة الأفرنكية وأغلب ضباطها وعساكرها وحاملون نياشين لزيون دوتور والمبدليات علامة الانتحار فى مقابل ما أبرزوه فى الميدان من الشجاعة وقيامهم بالخدمات الجليلة فى الأراضى الحارة وبمرور حضرة الإمبراطور

---

(١) امين سامى باشا . تقويم النيل . المجلد الاول . ج ٣ مرجع سابق ص ٥١٣

(٢) دار الوثائق القوميه للترجمة صفحة ٤٢ دفتر رقم ٥٥٨ فى ٢٥ محرم سنة ١٢٨٤

بهم استحسن شجاعتهم وقيامهم ومدح بكباشهم ووقع بنفسه على جرحاهم الذين حاربوا مع عساكر فرنسا ما يستحقونه من المكافآت هذه هى نص الوثيقة التى تدل على البطولة والشجاعة للاورطة السودانية فى المكسيك ومدى ترحيب الإمبراطور بهم .

ولكن الفرقة فجعت بوفاة قائدها المقدم (البكباشى) جرالله محمد أفندي على أثر إصابته بالحمى الصفراء ولقد عانى أفراد الفرقة الكثير من رداءة الطقس فى المكسيك وكانوا يعملون فى منطقة تسمى الأرض الساخنة لارتفاع درجة الحرارة .فيها ارتفاعاً شديدًا وانتشار الأمراض الوبائية بها وكانت هذه المنطقة تتحول إلى مستنقعات فى موسم سقوط الأمطار وهى فترة تمتد من مايو إلى سبتمبر وأصيب عدد كبير من أفراد القوة بالأمراض الوبائية مثل الحمى الصفراء والتيفوس والدوسنتاريا ودلت الإحصاءات الرسمية على أن خسائر الفرقة بسبب هذه الأمراض كانت كبيرة جدا .وكانت المفاجأة الكبرى أن انتهت الحرب الأهلية الأمريكية سنة ١٨٦٥ وتفرغت الولايات المتحدة لمثل هذه الأمور فلذلك أمرت فرنسا بلهجة حازمة أن تسحب قواتها من المكسيك تنفيذا لمبدأ مورنو ارتضت أمريكا أن تعترف بالإمبراطور ماكسيمليان ولذلك اضطر الإمبراطور نابليون أن يرضخ لرغبة الولايات المتحدة فسحب جنوده

---

(١) دار الوثائق المصريه القومية ودفتر رقم ٥٥٨ صفحه ٤١ ، ٤٢

(٢) الامير عمر طوسون ـ الاورطه السودانيه ص ٧٨ .

(٣) الوقائع المصريه رقم ١٠٩ الصادره بتاريخ يوم الخميس ٢٦ محرم سنة ١٢٨٤ .

من المكسيك وأعدم الشعب المكسيكى الإمبراطور ماكسيمليان رميا بالرصاص فيما بعد نوفمبر سنة ١٨٦٧ .

وعادت الأورطة السودانية إلى أرض الوطن فى ٢٨ مايو سنة ١٨٦٧ وهذه نص الوثيقة التى تفيد حضور الأورطة وتكريم الخديو لها وهذا النص .

« ان الاورطة السودانية التى حضرت من مسكسيفا وجرحى حصر تعدادها وجدت ثلثمائة وثلاثة عشر شخص بما فيهم من الضباط والصف ضابطان حسبما علم من الكشف لذى تقدم به بكباشى وضباط الأورطة فأما الضابطان والصف ضابطان . قد أحسنا عليهم باصعادهم إلى الرقيب التى تعلقت ارادتنا باصعادهم إلى الرتب التى حسبما يعلم من الكشف المرفوق معه وأما النعرات فهوءلاء بمعرفتكم تجروا أصعادهم إلى رتب باشجا ويشيه وحاديشيه حسبما تروه فى كل منهم من اللياقة والإستعداد والقابلية كما افهمناكم شفاها وترسلو كشف بذلك إلى ديوان الجهات ليجرى اعتماده حينما صدور أمرنا لوكيل الجهادية فى تاريخه وهوءلاء بما فيهم الأشخاص السقط أيضا حيث باصعادهم إلى الرتب التى يصعدوا إليها تصير معاملتهم بالجهادية حسبما توضح بأمرنا الصادر إليه بذلك لزم إصداره لكم للأجرى بمقتضاه .وعقب هذه الوثيقة والأمر الصادر من الحديد بتكريم هذه الفرقة الشجاعة والعمل على مكافآتها وترقيتها إلى رتب أعلى تقدير لشجاعتها وبسالتها فى ميدان القتال . وإليك بيان بكشف الترقيات التى حصل عليها الضباط والصف ضباط بالأورطة السودانية طبقاً للإدارة السنية فى ٢٥ محرم سنة ١٢٨٤ أمر صادر للجهادية .

---

(١) دار الوثائق القوميه . دفتر رقم ١٩١٩ صفحه ١٨٦ فى ٢٥ محرم سنة ١٢٨٤

بيـان بكشف ترقيـات الضباط

١ ـ يوزباشى حسين محمد يرقى إلى رتبة بكباشى .

٢ ـ ملازم أول فرج عزازى يرقى إلى صاعقول .

٣ ـ لازم ثانى فضل الله حبيب يوزباشى .

٤ ـ ياشجاويش عبدالله السدانى يرقى إلى ملازم أول .

ترقية الجـاوشية إلى ملازمين

١ ـ حديد فرحات	ملازم ثان .
٢ ـ حسن أحمد	ملازم ثان
٣ ـ مرجان سليمان	ملازم ثان
٤ ـ مسعود تادرس	ملازم ثان

ترقيات الاونباشية إلى مسـاعدين

١ ـ أمين عزت	مساعد
٢ ـ مرجان كورمك	مساعد
٣ ـ على سليمان	مساعد
٤ ـ مرسال رجب	مساعد

٥ ـ مرجان يوسف	مساعد
٦ ـ جبر حماد	مساعد
٧ ـ محمد سلمان	مساعد
٨ ـ سلطان عبد الله .	مساعد
٩ ـ فرج والى .	مساعد
١٠ ـ محجوب حبيب ملوك أمين .	مساعد
١١ ـ عبد الولاه أحمد سودان .	مساعد
١٢ ـ أبو غيره نجيب .	مساعد
١٣ ـ فرج يوسف السيد .	مساعد
١٤ ـ عبد الخير ادريس .	مساعد
١٥ ـ عبد الجبار بخيت .	مساعد

ويضيق بنا المقام لسرد أسماء الجنود والضباط المرقيين إلى رتب أعلى ولكن أردت أن استعرض بعض الأسماء طبقاً لما جاء فى الوقائع المصرية .

---

(١) الوقائع المصريه ـ الصادره فى ٢٣ محرم سنة ١٢٨٤ الموافق ٢٧ مايو سنة ١٨٦٧

ولقد انحصرت الترقية فى الرتب الاتية : ـ

عدد	
١	أمير الاى .
٢	بكباشى
٤	صاعقول غاس .
٤	يوزباشية .
٤	ملازم أول .
١٨	ملازم ثان .
٣٤	مساعدين .

هذا جانب من الترقيات التى تمت بأمر الحديد وأما باقى الأنفار الموجودة أسمائهم بدفاتر الحربية .

وهكذا أثبتت الجندية المصرية والسودانية بأنه قادر على أن يحارب فى أى مكان وتحت أقسى الظروف المناخية التى لا يتحملها أى إنسان غيره ولذلك يستحق الشكر والإعجاب وللاجابة عن السؤال الأول بأن هذا التصرف من جانب سعيد باشا مخالفا للفرمانات السلطانية من ناحية وللقانون الدولى من ناحية أخرى .فالمواد العسكرية فى تسوية سنة ١٨٤٠ ، ١٨٤١ تعتبر القوات المصرية والبرية والبحرية جزء من القوات المسلحة العثمانية .

والقانون الدولى العام يمنح مصر من الإنفراد بتقرير الإشتراك فى حرب أجنبية تأسيساً على أن مصر ولاية من ولايات الدولة العثمانية وتخضع لسيادة هذه الدولة . ولقد ذكر قنصل الولايات المتحدة الأمريكية فى تقريره المرسل إلى البلاد بأن الإسكندرية سوف تظل تذكر صيحات النساء والأطفال وقال أن ما حدث فى الإسكندرية يعيد إلى الأذهان ذكر أسوأ مظاهرة تجارة الرقيق الإفريقية ثم قال فى تقريره يحق لجميع الدول المسيحية أن تحتج عليه . وفى حقيقة الأمر كان سعيد يشعر فى قرارة نفسه أن تصرفه ينطوى على مخالفات خطيرة وهذه ليست أول مرة يخطئ فيها سعيد باشا فلقد أخطأ من قبل عندما منح حق امتياز قناة السويس دون دراسة فلذلك أحاط موضوع إرسال الحملة المكسيكية بسرية تامة ولذلك التزم هذا الوالى بالصمت المطلق حيال السلطان فلم يرسل إليه كلمة واحدة عن هذا الموضوع وانتظر حتى انقضى أسبوع على إبحار السفينة الحربية من الأسكندرية يغادر بإرسال برقية مؤرخة فى ١١ يناير يعتذر فيها عن إرسال القوة بدون استئذان ومن سخرية الأقدار أن يموت سعيد فى ١١ يناير فأراحه الموت من مضاعفات موقف سياسى كان هو الذى أوجده وكان عليه أن يواجهه وللأسف مات ولم يحقق شيئاً مما كان يبغيه فى تغيير نظام الوارثة .

وقد يجول فى ذهن البعض سؤال آخر يفرض نفسه فرضاً في هذا المجال وهو لماذا لم يعمل إسماعيل على استدعاء القوة السودانية المصرية من المكسيك بعد أن تولى حكم مصر طالما أنه مقتنع بخطأ سلفه والحق أنه لم يكن فى مقدور إسماعيل سحب هذه القوة حتى إذا افترضنا أنه

كان راغباً فى هذا الإجراء لأن فرنسا أعطته درسًا قاسيًا ولم يمضى عليه أسبوعان فى حكم مصر وسرعان ما أدراك أنه لا يستطيع أن يقف بمفرده فى وجه إمبراطور فرنسا بل ارتمى هو الآخر فى أحضان فرنسا بل فاقه سلفه سعيد بأن أصدر أمرًا فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٦٥ إلى إسماعيل سليم باشا ناظر الجهادية وجعفر باشا حكمدار السودان بإعداد تجهيز فرقة عسكرية تتكون من ألف جندى لتسافر إلى المكسيك وتحل محل الفرقة المصرية التى أخذ عددها يتناقص وهكذا كانت سياسية سعيد وإسماعيل التبعية المطلقة للدول الأجنبية والسير فى ركابها وبهذا اختتم بحثى

والله الموفق

دكتور نور عارف

المراجع العربية

١ ـ الأُستاذ ـ عبد الرحمن الرافعى

عصر إسماعيل جـ١ . القاهرة . مطبعة النهضة سنة ١٩٣٢ .

٢ ـ فيشر هربرت .

تاريخ أوربا فى العصر الحديث (١٩٨٩ ـ ١٩٥٥) تعريب الأُستاذين أحمد نجيب هاشم ووديع الطبع . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٥٣ .

٣ ـ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى

قناة السويس والتيارات السياسية التى أحاطت بها . القاهرة . مطبعة مصر سنة ١٩٧١ .

٤ ـ بير رنوفان .

تاريخ العلاقات الدولية من سنة ١٨١٥ إلى سنة ١٩١٤ تعريب د . جلال يحيى . القاهرة الطبعة الثانية . دار المعارف بمصر .

٥ ـ الأمير عمر طوسون

الأورطة السودانية فى المكسيك مطبعة صلاح الدين ـ إسكندرية

٦ ـ د . محمد فؤاد شكرى

مصر والسودان . وحدة وادى النيل . القاهرة . دار المعارف ١٩٥١

٧ـ محمد صبيح .

كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين .
القاهرة . مطابع دار العالم العربى ١٩٦٦ .

٨ـ د . محمد محمد فهمى لهيطة .

تاريخ مصر الاقتصادى فى العصر الحديث .
القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٤٤ .

٩ـ د . مصطفى الحفناوي .

قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة جـ١ . تاريخ القناة وأصول مشكلاتها المعاصرة . القاهرة ـ مكتبة الأنجلوا المصرية . الطبعة الثانية ٥٦ .

١٠ـ ارلوند ولسون .

قناة السويس ماضيها وحاضرها ومستقبلها . القاهرة ـ مطبعة القاهرة سنة ١٩٥٤ .

١١ـ أمين سامى باشا .

تقويم العمل . المجلد الأول . الجزء الثالث .

الوثائق

١ ـ دار الوثائق القومية . محطة رقم ٢٥٨ إرادة رقم ٥/٨ دفعة رقم ١٣٠ مؤرخة فى ١٤ شعبان سنة ١٢٥٥ .

٢ ـ دار الوثائق القومية سجل رقم ١٩ صادر عابدين كتاب رقم ١٤٣ بتاريخ ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٧٥ .

٣ ـ دار الوثائق القومية ترجمة صفحة ٤٢ دفتر رقم ٢٥٢٥٥٨ المحرم سنة ١٢٨٤ .

٤ ـ دار الوثائق القومية دفتر رقم ١٩١٩ صفحة ١٨٦ ٢٥٢ محرم سنة ١٢٨٤ .

٥ ـ دار الوثائق القومية دفتر ١٩١٩ .

الدوريات

الوقائع المصرية الصاردة فى ٢٣ المحرم سنة ١٢٨٤ الموافق ٢٧ مايو سنة ١٨٦٧ .

المراجع الأجنبية

Dr. Zenab Esmat Rashed. the peace of pairs 1963. Liver pool 1951.